أنستاس الكرملي.. راهب مسيحي في دير العربية

أحمد تمام

خدم أنستاس الكرملي اللغة العربية وآدابها أكثر من خمسين عاماً بما وضع من كتب مهمة، وأبحاث جديدة، ومقالات مبتكرة، وتعليقات مستفيضة، وهو غزير الإنتاج فيما يكتب، وقل أن تجد مجلة عربية ذات شأن في عصره إلاّ وله مشاركة فيها باسمه الصريح أحيانا أو بأسماء مستعارة أحيانا أخرى، وبلغ عدد المجلات والصحف التي وافاها بمقالاته وأبحاثه أكثر من ستين صحيفة، كانت تصدر في العراق وسوريا ولبنان ومصر وفلسطين والأستانة، فضلا عن مقالاته الفرنسية التي نشرها في بعض المجلات الأوربية. وعرف بغيرته الشديدة على اللغة العربية والدفاع عنها والعناية بألفاظها واستعمالاتها، وكان يرى في الخروج على العربية خطًا لا يمكن قبوله أو التساهل فيه.

النشأة والتكوين

ولد الأب أنستاس الكرملي في بغداد في (٢٢ من ربيع الأول سنة ١٢٨٣هـ /٥ من آب سنة ١٨٦٦م) لأب لبناني وأم بغدادية، فأبوه ويدعى جبرائيل يوسف عواد من بحر صاف من قرى لبنان قدم إلى بغداد في نحو سنة (١٢٦٧هـ / ١٨٥٠م) وأقام بها، وتزوج من فتاة من بغداد تسمى مريم مرغريته، وأنجب منها خمسة بنين وأربع بنات، وكان ابنه بطرس الذي عرف بعد ذلك بأنستاس الكرملي الرابع بين أولاده. تلقى الكرملي تعليمه الابتدائي في مدرسة الآباء الكرمليين، وبعد أن أتم دراسته بها انتقل إلى مدرسة الاتفاق الكاثوليكي، وتخرج فيها سنة (١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م) وبدأ حياته معلما للعربية في مدرسته الأولى، وكان آنذاك في السادسة عشرة

من عمره، وأخذ ينشر وهو في هذا العمر الغض مقالات لغوية في العديد من الصحف المعروفة في ذلك الوقت مثل: الجوائب والبشير والضياء. ولما أكمل العشرين غادر بغداد سنة (١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م) إلى بيروت، وعمل مدرسا بكلية الآباء اليسوعيين، وفي الوقت نفسه أكمل دراسته في تعلم العربية واللاتينية واليونانية، وأتقن الفرنسية، وتوفر على دراسة آدابها.

ولم يكتف الأب أنستاس الكرملي بهذا القدر من الدراسة، حيث سافر إلى بلجيكا سنة (١٣٠٥هـ /١٨٨٧م) والتحق بدير شفرمون قرب مدينة ليبج، ودخل في سلك الرهبنة، وتسمى باسم أنستاس ماري الكرملي، وهو الاسم الذي لازمه وعرف به بين الناس. ثم دفعته رغبته في التزود من المعرفة إلى السفر إلى مونبلييه بفرنسا سنة (١٣٠٧هـ /١٨٨٩م) لدراسة اللاهوت والفلسفة وتفسير الكتاب المقدس والتاريخ الكنسي، وظل هناك حتى رسم قسيسا سنة (١٣١٢هـ / ١٨٩٤م) ثم غادر فرنسا إلى أسبانيا، وأقام بها فترة زار معالمها الإسلامية، ثم عاد إلى العراق ليتولى مدرسة الآباء الكرمليين.

راهب في معبد العربية

شغف الأب أنستاس باللغة العربية شغفا ملك عليه قلبه فانكب عليها قارئا ودارسا ومتذوقا ومنقبا، وحرص على خدمتها ونصرتها بكل ما يملك، ودفعه حبه لها أن يلمّ باللغات السامية الأخرى ويقف عليها كالسريانية والعبرانية والحبشية، فضلا عن دراسته الفارسية والتركية وإتقانه الانجليزية والفرنسية.

وقد هيأت له ثقافته الواسعة وتضلعه في اللغات أن يبحث في أصول بعض الألفاظ العربية واشتقاقها وقرابتها من لغة سامية أخرى أو غير سامية، بحيث لا يفوته استعمالها ووجه الفصاحة فيها، وما شاع من الخطأ في استعمال العامة لها، إلا أن بعض الباحثين يرى أنه انطلق من فلسفة أصالة هذه اللغات، وأن العربية أخذت عنها، ومن ثَم أصبح معظم ألفاظ العربية مستمداً من هذه اللغات، في حين أن الحقيقة هي أن هذه اللغات هي التي استعارت من العربية وليس العكس.

وكان من إسهاماته أيضا أنه أخذ يضع مقابلاً عربياً للمصطلحات الحديثة، وكان يقول إنه يوجد في العربية ألفاظ تكفينا مئونة الاستعارة من غيرها من اللغات الأجنبية، وإن لغتنا مفتقرة إلى تحرير ألفاظها العلمية والإشارة إلى ما يقابلها في اللغة العربية وفي اللغات الأخرى حتى يهتدي الكاتب إلى استعمالها في مواطنها؛ ولذلك أثنى على معجم الحيوان الذي ألفه أمين معلوف. وكان أنستاس الكرملي من رواد التصحيح اللغوي، والداعين إلى الحفاظ على اللغة وعلى أصولها، والابتعاد عن كل ما ينأى بها عن الاستعمال الصحيح؛ ولذلك نبه الكتاب إلى ما يقعون فيه من أخطاء، فانتقد كتاب «تاريخ آداب اللغة العربية» لجورجي زيدان وقال: كان يحسن بأن ينزه عن كل ما يشوه محاسنه، من ذلك ما ورد في قوله: «وقد تعاصر البابليون والمصريون، والأصح: وقد عاصر البابليون المصريين؛ لأنه لا وجود للتفاعل في مادة عصر».

الإستدراك على المعاجم العربية

رأى الكرملي أن المعاجم العربية لا تحتوي جميع المفردات، وأن كثيراً منها موجود في كتب الأقدمين وأشعارهم، وفي مؤلفات المولدين، وأن عدم وجودها في المعاجم اللغوية لا ينفي ورودها على ألسنة الأقدمين؛ ولذلك عزم على تأليف معجم يتدارك هذا الخلل، وبدأ في تأليفه منذ سنة (١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م) وظل يعمل فيه حتى قبل وفاته بعامين، وسمى معجمه أولا «ذيل لسان العرب»، ثم عدل عن هذه التسمية واتخذ بدلا منها اسم «المساعد»، ويحدثنا عن دوافع تأليفه بقوله: «منذ أخذنا نفهم العربية حق الفهم، وجدنا فيما كنا نطالع فيه من كتب الأقدمين والمولدين والمعاصرين ألفاظا جمة ومناحي متعددة، لا أثر لها في دواوين اللغة.. ولهذا رأينا في مصنفات السلف نقصاً بيناً، فأخذنا منذ ذلك الحين بسد تلك الثغرة..»، وقد ظل هذا الكتاب مخطوطا سنوات طويلة بعد وفاة مؤلفه، ولم ير النور إلا في سنة (١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م) حيث صدر المجلد الأول منه.

رائد الصحافة اللغوية

اتخذ الأب أنستاس من الصحافة وسيلة لنشر الثقافة اللغوية ووضع المصلحات الجديدة لما استجد من مستحدثات، فأصدر مجلتين وجريدة، أما المجلة الأولى فهي مجلة «لغة العرب»، وكانت شهرية، فيها اللغة والأدب والمصطلحات والتاريخ وما يتصل بعلم الاجتماع وعلم الإنسان، وقد صدر منها تسعة مجلدات فيما بين سنتي (١٣٢٩-١٣٥٠ هـ /١٩١١-١٩٣١ م) وقد ضمت أعداد هذه المجلة مئات المصطلحات العربية وما يقابلها في الفرنسية، والمجلة الثانية هي «دار السلام» وكانت نصف شهرية تبحث في الأدب والاجتماع والتاريخ وتعنى بشؤون العراق، وظلت تصدر مدة أربعة أعوام (١٣٣٧-١٣٤٠ هـ / ١٩١٨-١٩٢١ م).

أما الجريدة فهي "جريدة العرب"، وكانت يومية سياسية إخبارية، صدرت مدة أربع سنوات ببغداد (١٣٣٦-١٣٣٩ هـ /١٩١٧-١٩٢٠ م).

مجلسه الأسبوعي

وكان للأب أنستاس مجلس يعقد في يوم الجمعة من كل أسبوع في دير الكرمليين، يحضره كثير من أهل اللغة والأدب والفكر من العراقيين وغيرهم ممن يفدون إلى العراق، ويستمر هذا الاجتماع من الصباح حتى الساعة الثانية عشرة ظهرا، يناقشون فيه شؤون اللغة والأدب والتاريخ، ولكن كان هناك شيئان لم يكن مباحاً الكلام فيهما في هذا المجلس وهما الدين والسياسة.

واشتهر الكرملي بمراسلاته لأعلام الفكر واللغة في عصره حول بعض القضايا العلمية واللغوية، من أمثال أحمد تيمور وأحمد زكي باشا ومحمود شكري الآلوسي، وقد نشرت مجلة المورد مراسلاته مع أحمد زكي باشا.

وكان الكرملي يستعين في كتابة مؤلفاته وبحوثه وتعليقاته بمكتبة ضخمة حوت أمهات المصادر العربية القديمة في اللغة والأدب والتاريخ والبلدان والتراجم، وجمعت هذه المكتبة ما يقرب من عشرين ألف مجلد، بينها ١٣٣٥ مجلدا مخطوطا. وهذه المكتبة التي كانت من أعظم المكتبات الخاصة في العراق أنفق الكرملي سنوات طويلة في تكوينها، وقد آلت بعد وفاته إلى الحكومة العراقية.

إنتاجه الفكري

ترك الكرملي عدداً هائلاً من الكتب لا يزال معظمه مخطوطاً لم ير النور، ومن أهم كتبه المطبوعة: أغلاط اللغويين الأقدمين، ونشر في بغداد سنة ١٩٣٢م، ونشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها، ونشر في القاهرة سنة ١٩٣٨م، والنقود العربية وعلم النميات، ونشر في القاهرة سنة ١٩٣٩م، وحقق عدداً من الكتب، في مقدمتها : معجم العين للخليل بن أحمد، لكنه لم يكمله بسبب ظروف الحرب العالمية الأولى، ونخب الذخائر في أحوال الجواهر لابن الأكفاني، والإكليل للهمداني. إضافة إلى ذلك خلّف ما يزيد على أكثر من ١٣٠٠ مقالة تمثل جزءا كبيرا من إنتاجه.

وقد حظي الكرملي بتقدير كثير من الهيئات والمجامع العلمية واللغوية، فانتخب عضواً في مجمع المشرقيات الألماني سنة (١٣٢٩هـ /١٩١١م) والمجمع العلمي العربي في دمشق سنة (١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م) واختير ضمن أول عشرين عالماً ولغوياً من مصر وأوروبا والعالم العربي يدخلون مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة (١٣٥١هـ / ١٩٣٢م).

وفاته

وبعد حياة طويلة قضاها في خدمة اللغة العربية توفي الأب أنستاس الكرملي في بغداد في (١٣ من صفر ١٣٦٦هـ /٧ من كانون الثاني ١٩٤٧م)، ورثاه شعراء عدة، منهم أحمد حامد الصراف، ومما قاله:

وعشنا وعاشت في الدهور بلادنا ××
جوامعنا في جنبهنَّ الكنائس
وسوف يعيش الشعب في وحدة له ××
عمائمنا في جنبهنَّ القلانس

وقد صدرت بعد وفاته كتب تناولت حياته، من أهمها كتاب: الأب أنستاس الكرملي وحياته ومؤلفاته لكوركيس عواد، والأب أنستاس ماري الكرملي لعامر رشيد السامرائي.

مساعد رئيس تشريفات البلاط الملكي يتذكر

عندما قرر عبد الاله الانسحاب من وصاية العرش

الأستاذ عبد الغني الدلي

الأمير عبد الإله صبيح الوجه أنيق المظهر فارع القامة يلقى زائريه باسماً منبسط الأسارير كيوم من أيام الربيع .. هكذا رأيته عن أول مقابلة لي معه في مكتبه في البلاط وظلت هذه الصورة وما تزال عالقة في ذهني إلى هذه الساعة . لم أره عابساً أو متجهماً خلال اثني عشر عاماً التي عرفته خلالها إلا في مناسبتين: الأولى عند قيام التظاهرات الصاخبة ضد معاهدة بورت سموث عام ١٩٤٨ والثانية عندما اشتدت الدعاية الناصرية ضد العراق قبل شهرين من قيام الإنقلاب العسكري الدامي يوم ١٤ تموز ١٩٥٨ المشؤوم .كانت بداية معرفتي الشخصية بالأمير في أواخر عام ١٩٤٦ عندما استدعيت للعمل في البلاط وكنت آنذاك محاضراً في كلية الحقوق ، ولم يكن يخطر ببالي يوماً ما أن أقابل الأمير عبد الإله الوصي على عرش العراق ، وأن أعمل في معيته ، خصوصاً أنني عندما قامت حركة رشيد عالي الكيلاني عام ١٩٤١ ضد الوصي ، وكنت أتابع دراستي في إنكلترا ، كنت من المتحمسين لها ولما زار الأمير إنكلترا بعد ذلك لم أشأ أن أكون بين الطلاب الذين ذهبوا لمقابلته والترحيب به وقد عاتبني بعضهم على ذلك ، ولذلك كان قلقي شديداً عندما قال لي رئيس الديوان الملكي المرحوم أحمد مختار بابان بعد حضوري عنده « أن الأمير يريد مقابلتك فتعال معي إلى مكتبه « ودارت في رأسي الأفكار والهواجس ، ترى ماذا سيقول لي الأمير وبماذا سأجيبه وكيف أفسر موقفي السابق منه ؟

وعند دخولي المكتب وجدت الأمير واقفاً يمد يده لي ليصافحني ثم يجلس ويشير لي بالجلوس على الكرسي المقابل له وكانت الابتسامة لا تفارق وجهه وهو يسألني عن الدراسة في إنكلترا وحياة الطلاب وما إذا عانيت من برودة دم الإنكليز.. وكأنه زميل قديم فخف قلقي وأخذ الحديث يتواصل ويتشعب حتى انتقلنا إلى أحوال العراق والأحداث التي مر بها أثناء الحرب ومنها حركة رشيد عالي الكيلاني ، وهنا تناول الأمير سيكارة وأولعها وقال بلهجة جادة : « إن خلافي مع رشيد لم يكن ، كما أشاع هو وأعوانه ، بسبب التعاون أو عدمه مع السلطات البريطانية لأن (رشيد) نفسه كان يبدي أمامي وأمام البريطانيين استعداده للتعاون معهم وقبوله المعاهدة العراقية . البريطانية لعام ١٩٣١ ولكن كان يقول عكس ذلك للعسكريين وللرأي العام ، وكان يوحي لهؤلاء بأنني أنا وحدي الذي أريد التعاون مع البريطانيين وهكذا خلق فجوة بيني وبين بعض العسكريين وعامة الناس . وهذا ما أريد تصحيحه . أن سبب الخلاف الحقيقي بيننا هو أن ((رشيد)) كان يريد الإنفراد بالسلطة والتحكم بالوزارة والبلاط ، وعندما صار رئيساً للوزراء أخذ يشكو من تدخلات البلاط في شؤون الوزارة .. « .وبعد نحو نصف ساعة من الحديث نهض الأمير مشيراً إلى انتهاء المقابلة فاستأذنت بالانصراف وذهبت إلى مكتب رئيس الديوان وبعد دقائق معدودات رن جرس التلفون وبعد انتهاء المكالمة التفت لي رئيس الديوان وقال أهنئك لقد أوعز الأمير بتعيينك مساعداً لرئيس التشريفات فهيئ نفسك .. لم يكن القرار سهلاً بالنسبة لي.. لكني رجحت القبول وودعت رئيس الديوان شاكراً ، وطالباً رفع شكري وامتناني لسمو الأمير.

استمرت خدمتي في البلاط نحو ستة أشهر وكان أبرز ما لاحظته خلال هذه المدة هو نزاهة الأمير وترفعه عن صغائر الأمور ومغريات الحياة المادية ، ثم تواضعه وبساطة حياته وتعامله مع الناس ، إلى جانب تحسسه بأهمية العراق وضرورة المحافظة على كيانه ومكانته الدولية ، ورعاية مصالح وحقوق أبنائه .. وكان شديد الحرص على عدم التدخل في شؤون الإدارة إلى حد التخلي عن مصالحه أو مصالح العائلة الخاصة . ففي ذات يوم بعد أن انتهت مقابلات الزائرين نادى عالي وقال (أنت تعرف رئيس الوزراء صالح بك «يقصد المرحوم صالح جبر») قلت (نعم يا سيدي) قال (أريد أن تكلمه بأمر يتعلق بمزرعة الملك فيصل الأول في خانقين لأني لا أريد إحراجه إذا فاتحته بنفسي ، ولا أرغب التدخل في الأمور المالية أو الإدارية للحكومة . إن وزارة المالية تطالب الورثة «أي الملك فيصل الثاني» بدفع ضرائب لسنوات سابقة وقد أعفي منها أصحاب المزارع المجاورة بسبب عدم هطول الأمطار أو غيرها من الأسباب لا أعلم ، ولكن المزرعة الملكية هذه لم تعف منها لعدم المراجعة بشأنها) لقد أدهشني هذا الموقف في الوقت الذي أكبرته . وبالفعل اغتنمت أول فرصة وذكرت الأمر لرئيس الوزراء الذي حدّق بوجهي هو الآخر مستغرباً وقال سأدرس الموضوع .. ولم يفاتحني الأمير فيما بعد بالأمر ولكن (ناظر الخزينة الخاص) اشار إلى أن رئيس الوزراء أجرى تسوية عادلة للموضوع .وبعد انتقالي من العمل في البلاط إلى إدارة المصرف الصناعي العامة .. برغبة من رئيس الوزراء صالح جبر ، تقدمت شركة الغزل والمنسوجات القطنية (وكانت أكبر شركة من نوعها آنذاك) إلى المصرف بطلب المساهمة فيها فوافق مجلس إدارة المصرف على الطلب ، وكان الشائع أن الوصي مساهم كبير في هذه الشركة ، ولكن بعد الإطلاع على نظام الشركة وجدنا أن المساهمة هي باسم الملك فيصل الثاني والخزينة الخاصة ولم تكن كبيرة ولم يسجل أي سهم باسم الوصي وكانت المساهمة الملكية تهدف إلى تشجيع المشروع أكثر منها للربح حيث لم توزع الشركة أية أرباح طوال ثلاث سنوات من عملها . المهم أنه طوال خمس سنوات من عملي في المصرف الصناعي وبرغم مقابلاتي العديدة للأمير لم أسمع منه سؤالاً أو استفساراً أو توصية بشأن هذه الشركة برغم أنها مرّت بظروف كانت تقتضي المساندة ...في صيف ١٩٥٥ قمت بزيارة للأمير ، عصراً ، وكان يجلس في الحديقة المقابلة لقصر (الرحاب) وتناول الحديث شؤوناً عراقية وعربية مختلفة وقبل أن استأذن بالانصراف طلب مني البقاء وخاطبني قائلاً: « لدي أمر يقلقني ويحيرني كثيراً وأريد أعرف رأيك فيه بصراحة . لقد مر أكثر من سنة على تسلم الملك سلطاته الدستورية .. وأنا أعلم أن البعض يتساءل عن موقفي ودوري بعد هذا .. هل انسحب أم استمر بما رسة ما أقوم به من شؤون السلطة.. أن الملك ما يزال شاباً قليل الخبرة.. وأنا في الحقيقة أخشى على (فيصل) وهو أمانة في عنقي .. أخشى عالي من ذئاب السياسة العراقية الذين طالما عبثوا بالحكم وعرّضوا البلاد للخطر» . كان السؤال خطراً ومحيراً إليّ أيضاً ولم استطع إلا أن أقوله له: « باعتقادي أن الملك يحتاج لدعمكم في البداية ولكني أرى أنكم يجب أن تخططوا للانسحاب تدريجياً .. ويجب أن يكون هذا معروفاً بين الناس». كان رده: « نعم قد يكون هذا هو الحل الأمثل...» ورغم ذلك كانت الشائعات تقول أن الأمير يضغط على الملك ويريد الاستمرار في السلطة...إلخ ولم يكن لدى البلاط أو الحكومة جهاز للإعلام قادر على تكذيب تلك الشائعات ، أن المتقولين كانوا يستندون إلى الظواهر فيقولون أن الغرفة المخصصة لمكتب جلالة الملك قد اختيرت مقابل غرفة الوصي لتسهيل مراقبته وأن بعض الزائرين كانوا يذهبون أولاً لمقابلة الوصي وبعده يقابلون الملك . وأن جلالته أحيانا كان يقول لزائريه بعفوية سأتذاكر مع «خالو» في هذا الأمر . والواقع أن الغرفة التي خصصت لجلالة الملك كانت أليق الغرف في بناية البلاط القديم وأوسع من غرفة الأمير التي لا يستطيع الجالس فيها رؤية من يدخل ويخرج من غرفة الملك ... فأبواب الغرف لم تكن متقابلة والمسافة بينهما واسعة ، والأمير لم يكن معنياً ، كما مر ذكره ، بمراقبة الملك بقدر عنايته في إعداده لما رسة مسؤولياته وحقوقه الدستورية ، وكان في ذهنه دائماً أن ينتقل إلى مهام أخرى في أقصر وقت بعد أن يتم عقد قران الملك ، ولكن الأقدار القاسية أبت أن يكون ذلك..في شتاء ١٩٥٧ عندما كنت سفيراً للعراق (في المغرب) ، قام الأمير عبد الإله بزيارة للرباط ، وحل ضيفاً على صديقه ولي عهد المغرب الأمير الحسن ، ملك المغرب حالياً ، في قصره الخاص في السويسي . الرباط ، وفي اليوم التالي لوصول سموه جاء لزيارتي بصورة مستعجلة صديقي المرحوم الحاج أحمد بناني رئيس التشريفات في القصر الملكي وقال: أنا مكلف برجاء خاص إليك ذلك أن القائم بالأعمال الفرنسي (وكان السفير غائباً) قد طلب من القصر ترتيب موعد له لمقابلة الأمير عبد الإله ليبلغه رسالة مهمة من الحكومة الفرنسية ، قلت للحاج البناني أن العلاقات الدبلوماسية شبه منقطعة بيننا وبين فرنسا بسبب موقفها من الجزائر كما تعلم ولا أستطيع تحقيق مثل هذه المقابلة ولا أظن الأمير سيرتاح إليها وهو في زيارة خاصة . قال لا أدري كيف يكون ذلك ولكني أؤكد رغبة المقامات المغربية العالي ا بهذا الأمر كان الأمير الحسن قد أعد حفلة عشاء مساء ذلك اليوم للأمير وحاشيته وأنا منهم في مقر سكناه وقبل موعد العشاء قابلت الأمير منفرداً وشرحت له الموضوع فوافق على اقتراحي بأن يأتي القائم بالأعمال الفرنسي إلى قصر الأمير الحسن وينتظر في القاعة الصغيرة في مدخل القصر في آخر السلم المؤدي إلى غرفة الطعام وبعد انتهاء العشاء أنزل أنا أولاً للقاء القائم بالأعمال ثم ينزل الأمير في طريقه إلى غرفة التدخين فألتقيه وأقدم له القائم بالأعمال ، وهكذا كان.. نهض (لاويت) عندما أقبل الأمير وحيّاه بكلمات عربية ثم تكلم بالإنكليزية قائلاً: «.. إن حكومتي كلفتني بوصفها أحد كبار المساهمين في شركة النفط العراقية بإبلاغ سموكم عن استعدادها لتقديم أية تسهيلات مالية يحتاجها العراق لمشاريعه الإعمارية التي تقدرها الحكومة الفرنسية أعظم تقدير ، وذلك إظهاراً لحسن نياتها ورغبتها بتوثيق العلاقات بين الدولتين وترجو حكومتي أن يوافق سموكم على هذا العرض ويساعد في إنجازه « .. ولم يستغرق الأمر أكثر من دقيقة واحدة ، حتى التفت لي الأمير وقال : « أبلغ سعادة القائم بالأعمال شكري على حضوره وأن يعلم حكومته بأننا في العراق لسنا بحاجة للمساعدات المالية لإنجاز مشاريعنا العمرانية وقريباً ربما سيكون لدينا فائض نقرضه أو نساعد به الغير.. ولكن إذا كانت الحكومة الفرنسية تريد حقاً تحسين العلاقات معنا فإن الطريق لذلك هو أن تكف عن أعمالها العسكرية ضد أبناء الجزائر وتمنحهم حقهم بالحرية والاستقلال « . ترجمت كلام الأمير للقائم بالأعمال وانتهت المقابلة حيث واصل الأمير طريقه إلى غرفة الاستراحة والتحقت به بعد أن ودعت القائم بالأعمال .

لقد سررت بهذا الموقف من جانب الأمير وقد جاء عفوياً صادقاً دونما تحضير ، وقد دهش له الأخوان المغاربة ، ولم يشاؤوا إذاعة الخبر ولم نصر نحن على ذلك حرصاً على واجبات الضيافة والعلاقات الطيبة بين البلدين .

والحادثة التالية تدل على إنسانية الأمير ودماثة خلقه وتسامحه وحبه للدعابة .اعتاد أحد الوزراء السابقين أن يطلب مقابلة الأمير مرة كل أسبوع ولم أعلم أن الرجل من المطيلين في الحديث دون مراعاة الوقت. فلما قدّمت اسمه للأمير هز رأسه قليلاً ثم قال ليكن موعده يوم الخميس حيث عدد الزائرين أقل. وحضر الرجل وكان على جانب كبير من الثقافة والأناقة ولكنه بعد دخوله مكتب الأمير بقي يتحدث أكثر من نصف ساعة . والوقت المتعارف عالي ه هو ربع ساعة فقط لكل زائر . وقد أربك هذا الأمر منهجنا وأحرجنا مع بقية الوافدين ، فشكوت الأمير من ذلك فأجابني (ماذا أعمل أنا لا أستطيع منع الرجل من الكلام وهو في ضيافتي . ولكن عندي رأي .. حدّدوا له موعد المقابلة في المرة القادمة في آخر ساعات الدوام لعلّ الجوع يدركه فيختصر الحديث ويوفر الوقت عالي وعالي كم) . وفعلاً قمنا بتطبيق الاقتراح وحددنا موعد زيارته التالية في آخر ساعات الدوام ودخل عند الأمير في تلك الساعة وظلت آمالنا معلقة بعصافير معدته ، غير أن تلك الآمال خابت وامتدت المقابلة إلى ما بعد ساعات العمل . ولما انتهت المقابلة سألت الأمير كيف حدث هذا ؟ قال (لا أدري ولكن يبدو لي أن الرجل قد استعد للأمر وتناول وجبة الغداء مبكراً قبل الحضور، فاستمر بالحديث ولم يشعر بجوع ولا من يحزنون وأجركم عند الله !) .

رحمَ الله الأمير عبد الإله لقد كان نزيهاً عف اليد واللسان ، فلم يُعرف عنه الاشتراك في صفقات تجارية له أو لذويه أو تقاضي عمولات كما يفعل أكثر الحكام وما يزالون بل ، كان يرفض كل نوع منها . وعلى سبيل المثال عرضت إحدى الشركات الأجنبية تقديم هدية خاصة له من صنعها وهي طائرة مائية يمكنها الهبوط في الأنهار والبحيرات الصغيرة ومناطق الأهوار ما يسهل رحلات الأمير لمختلف أنحاء العراق ، ولكن الأمير علم أن تلك الشركات تسعى للحصول على مقاولة كبيرة من مجلس الإعمار فقرر رفض العرض وألقاه في سلة المهملات.

ما حكاية الغرفة السرية التي كان يتجسس منها عبدالاله على الملك فيصل الثاني ؟

وظلت موارد الأمير محدودة براتبه الشهري برغم واجبات منصبه المتزايدة. وأذكر مرة تطرق الحديث فيها لهذا الموضوع في أوائل عام ١٩٥٦م فقال أنه يعاني ضائقة مالية هذه الأيام سببها أنه يدفع مرتبات شهرية لرئيس الخدم والطباخ وأعوانه نحو ٤٠٠ دينار شهرياً وهم الآن يطلبون زيادة فيرتفع المبلغ إلى ٥٠٠ دينار أو أكثر وسيضطره ذلك لتخفيض مصروفاته المعتادة. فسألته ولماذا لا تطلبون من الحكومة زيادة مرتبكم ؟ سكت ولم يجب على هذا السؤال .أما قصر (الرحاب) الذي كان يقيم فيه مع العائلة وقد انضم إليها الملك فيصل الثاني بعد وفاة والدته فكان بسيطاً بمبناه وأثاثه ، ولا يضاهي الكثير من بيوت الطبقة الموسرة في بغداد أو غيرها من مدن العراق .. ومن المعروف أن الأمير لم يخلف بعد موته مالاً ولا عقاراً وكل ما تركه أربع سيارات قديمة من النوع الذي يستخدم في المراسيم الملكية .